التسامح الديني والتعايش السلمي في ضوء القرآن والسنة

RELIGIOUS TOLERANCE AND PEACEFUL COEXISTENCE IN THE LIGHT OF THE QUR'AN AND SUNNAH

د.معراج أحمد معراج الندوي*

ABSTRACT:

Religious tolerance, and peaceful coexistence, as a religious, political, and philosophical concept found in Islamic traditions, was sporadically utilized, always subject to the dictates of history. There is significant value in exploring Islam's rich tradition of tolerance, explicating its humane conceptualizations and heartening examples. Religious tolerance and peaceful coexistence are noble Islamic thoughts suggested in many verses of Quran in different forms, with complete emphasis and explicitness. Peace, justice, equality and brotherhood are its guiding principles to develop the mutual understanding and peaceful co-existence. Islam is synonymous with peace. It encourages its followers to explore every possible avenue for peaceful negotiations to sort out the conflict among the people and put their all efforts to establish peace in the society. The Holy Quran appeals to Muslims to engage in constructive dialogue with the people of other faiths on the basis of what they have common belief and doing of righteous deeds. The Holy Quran emphasizes that all the people have the right to follow the religion of their own choice. Islam calls on people of different faiths to have mutual respect for each other on the basis of their common humanity while following their own religions. The aim of this paper is to discuss the Qura'nic position of tolerance to establish the manner of universal brotherhood. This paper also will explore the ability of Quranic teachings to overcome the inter-religious conflicts in various parts of the world and goodwill among the flowers of different religion can be established.

KEYWORDS: Religious,Tolerance, Quranic, Flowers ,Constructive.

الكلمات المفتاحية: الديني، التسامح ، قرآني ، متبعون، استدلالي

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة العالية، كولكاتا، بنغال الغربية، الهند

الملخص

إن الإسلام هو الدين الوحيد في تاسيس الأمن والسلام في العالم. يقوم الإسلام على نظرية اجتماعية واسعة ويبين أن أفراد البشرية كلهم على وجه الأرض من سلالة واحدة. يتحمل التعايش السلمي قيمة كبيرة في الإسلام إذ أن الإسلام يدعو للتعايش والتقارب ويحث أتباعهم إلى التسامح الديني ويمحو التعصب وال والغلو والتطرف مع الآخرين. ومن المعروف أن المسلمين مارسوا التسامح الديني مع غير المسلمين تسامحا فريدا لا يوجد نظيره في التاريخ. الإخاء والمساواة والحرية، هذه النزعة الإنسانية الأصيلة في الأسلام هي أساس هام لمبدأ الإخاء البشري الذي نادى به الإسلام. تمس الحاجة إلى أن يبرز المنظور القرآني لتحقيق الأخوة العالمية من خلال التسمخ الدينيو التعايش السلمي وذلك عن طريق الدراسة العميقة الكتاب المقدس المنزل من عند الله كدستور للحياة البشرية.

المدخل في الموضوع: إن موضوع التسامح الديني والتعايش السلمي من الموضوعات المهمة التي تشغل اليوم بالمجتمعات الإنسانية والتي يكثر تناولها في وسائل الإعلام والاتصال كما أصبح موضوعًا حارًا للمناقشة في الندووات والمؤتمرات حيث ازدادت أهميته في العصر الذي نعيش فيه. فعلى الرغم تطور الإنسان علميًا ومدنيًا ينحط المجتمع البشري من داخله ثقافيًا وخلقيًا وكذلك تهبط المودة الإنسانية والقيم الخلقية.

التعايش السلمي:التعايش في اللغة مشتق من العيش، والعيش الحياة.[١] والتعايش في الإصطلاح بقصد به العيش المتبادل مع الآخرين القائم المسألة والمهادنة.[٢] وقد يعبر عن التعايش بعبارات: التسامح، التقارب، التساكن، التكامل، التلاقى، التجانس. أما في الإصطلاح أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم بين مجتمعاتهم آمنين سالمين مطمئنين على على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظموتهم الفكرية.[٣] التعايش السلمي من المصلطحات الحديثة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية. وينصب معنى التعايش السلمي على التفاهم.

مفهوم التعايش السلمي في الإسلام:إن مفهوم التعايش السلمي في الإسلام عبارة عم معالجة العديد من القاضايا الاجتماعية والسياسية. يتحمل التعايش السلمي قيمة كبيرة في الإسلام إذ أن الإسلام يدعو للتعايش والتقارب ويحث أتباعهم إلى التسامح الديني ويمحو التعصب واالغلو والتطرف مع

الآخرين. ومن المعروف أن السلمين مارسوا التسامح الديني مع غير المسلمين تسامحًا فريدًا لا يوجد نظيره في التاريخ. التعايش بين المسلمين وغير السلمين مشروع والنصوص التي تدل على مشروعيته كثيرة. ومن أبرز نصوص القرآن الكريم التي تدل على التعايش السلمي: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم. إن الله يحب المقسطين".[٤]

التعايش في ضوء السنة النبوية: والنصوص التي تدل على مشروعية العايش السلمي مع غير المسلمين والتي جاءت مضامينها في السنة النبوية المطهرة. فمن أهمها: نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الظلم المعاهدين والذميين، حيث ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: من آذى ذميًا فقد آذاني، ومن آذاني آذى الله. وفي رواية: ألا من ظلم معاهدًا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه، فنا حجيجه يوم القيامة".[٥]

عيادة مرضاهم لغير المسلمين: عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كان غلامًا يهيدي يخدم النبي صلى اللهعليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم، فقعد عندى رأسه فقال له: اسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقالله: أطلع أبا القاسم. فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحد لله الذي انقذه من النار".[٦]

قبول هدايا غير المسلمين: عن أبي هريرة رضي الله عنه قالك لما فتحت خيبر أهديت لرسول صلى اللهلا عليه وسلم شاة فيها سم. وجاء في رواية أن الهدية قدمتها زينب بتن الحارث امرأة سلام بن مشكم وهي امرأة يهدية. وقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم هديتها.[٧] وفي قصة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها- مع أمها المشركة ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم لها بقبول هديتها.

التعامل مع غير المسلمين: عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهيودي بثلاثين صاعا من شعير.[٨]

إكرام الموتى لغير المسلمين: جاء في حديث رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : مر بنا جنازى فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم فقمنا مكعه. فقلنا يا رسول الله: إنها جنازة يهودي. فقال: إذا رايتم الجنازة فقوموا.[٩] وفي رواية رواها عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان سهيل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنهما من أهل الأرض- أي من أهل الذمة – فقالا: لإن النبي صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها مكن جنازة يهودي. فقال: أليست نفسا ".[١٠]

وبهذه القيم الخلُقية والمبادئ الإسلامية نتوصل إلى أن القرآن يسعى إلي تشكيل مجتمع مثالي يعيش فيه الإنسان عيشا هادئا كريما، يحاول كل من أفراد المجتمع أن ينفع الآخر ويسدي إليه بالخير ولايضره وأن يكون رحيما وعادلا وصادقا في التعامل مع الناس،وهذه هي الأسس والمبادئ التي تبني ولاتفسد، تعمر ولا تخرب، والمجتمع العالمي في حاجة شديدة إلى تطبيق هذه المبادئ للحصول علي السعادة والسلام.

نظرية اجتماعية في القرآن الكريم:إن الإسلام هو الدين الوحيد في تأسيس الأمن والسلام في العالم. يقوم الإسلام على نظرية اجتماعية واسعة ويبين أن أفراد البشرية كلهم على وجه الأرض من سلالة واحدة. فالآية القرآنية تدل على هذه الحقيقة" يأيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم".[١١]ويستهدف نشر التعاون والتضامن بين الناس جميعًا ولا يتميز بين جنس وجنس. ولايفرق القرآن الكريم بين إنسان وإنسان بل إنما يرشد الإنسان إلى الاحترام فيما بينهم وأن يحب له ما يحب لنفسه من ود ووئام واحترام، فيقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: "ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير".[١٢] ففي ضوء القرآن التقوى معيار للفضل والكرامة، والتقوى يتمثل في حياة مثالية نافعة تجود بالخير الكثير ولاتُخلق لأحد ضرًا ولامشكلة، والقرآن يقضي على التفاخر القبلي واللوني واللغوي ويمنع من كل شيئ لاينبني على الخير والتقوى والإنسانية، ويعد القرآن الكريم اختلاف الألسن والألوان من رحمة الله وآياته، فيقول: "ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين".[١٣] فإن هذه الآيات وأمثالها بظاهرها تدل على أن الإسلام يفرض نفسه على الآخرين وأنه لايسمح بأي اختلاف في الفكر والدين فلا سبيل إلا التعايش والسلم والأخوة العالمية.

الأخوة الإسلامية في ضوء القرآن:إن من أهم المبادئ والقيم الإنسانية التي أكد عليها القرآن الكريم في العديد من آياته الكريمة هي الأخوة الإسلامية، فقد خاطب الله عز وجل الناس بلفظ "يا بني آدم" في القرآن الكريم ست مرات لأنه مبدأ قرره الإسلام بناء على أن البشر جميعًا أبناء رجل واحد، وامرأة واحدة، ضمتهم هذه البنوة الواحدة المشتركة، والرحم الواصلة، قال الله تعالى: "يأ أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءًا واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام. إن الله كان عليكم رقيبًا".[١٤]فالمنظور القرآني للأخوة العالمية مبني على التماسك بالدين الذي يدين به الإنسان واحترام الآخر كما يعتقده ويدين به وذلك كما يقال: "تعالوا نتفق على أن لا نتفق" فليس الاتفاق المتكامل حلًا للمشاجرات وإنما الحل يكمن في أن يتمسك الإنسان بدينه

ويدع الإنسان الآخر أيضًا بأن يعمل بدينه بدون النضال والتشاجر، ولكن القرآن في نفس الوقت يركز على ضرورة الحرية الدينية الكاملة وهى ليست فقط في التدين للدين بل وبدعوة الآخرين إلى الدين بالموعظة الحسنة والحكمة البالغة، ووفق تعليم القرآن لو حاولنا تكوين المجتمع الإنساني فإن هذا المجتمع سيكون مجتمعًا مثاليًا وتتحقق الأخوة العالمية والوحدة الكاملة بدون أن يشعر أي إنسان بفقدان ثقة أو بأن فئة تفوق فئة أخرى.

وهناك جهود كثيرة متواصلة لهذه الأخوة العالمية وذلك عن طريق تقريب مختلف الديانات إلى الأخرى وذلك بالتنازل عن بعض التعاليم والتركيز على بعض منها وهذا هدف لايمكن تحقيقه بالمنهج الذي يتراءى في بادئ الأمر منهجًا نافعًا. لأن الإنسان مهما تحرر من قيود دينه إنه يحب دينه بجزئه أوكله وبهذا الطلب للتنازل والتركيز سندفع الرجل إلى أن يذهب إلى ما لايميل إليه قلبه وذهنه وحينئذ سيحدث فيه نزعات من النفاق فيظهر ما لايبطن ويبطن ما لايظهر، وهذا الطراز النفاقي لايتمخض إلا عن نتائج لايرضاها أحد منا.

فتتجلى أهمية منهج القرآن الكريم لتكوين الأخوة العالمية وترسيخها في أذهان الناس وقلوبهم ولقد أشار القرآن الكريم إلى ما جبل عليه الإنسان من تشاجر وتفاخر وتباغض في قوله عز وجل: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا".[١٥] ولذا يدعو القرآن الكريم النوع البشري إلى الاحترام المتبادل والتعايش السلمي والأخوة العالمية التي لاتكاد تتحقق بدون هذا الاحترام المتبادل والتعايش السلمي، والقرآن الكريم يؤكد هذه الوجهة القائمة على الوسطية والاعتدال والحكمة العميقة التي تهدي إلى الخير والسعادة بقوله عز وجل: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون".[١٦] يذكر الإسلام أن الناس خلقوا من نفس واحدة، وليس فيهم فضل لعربي على عجمي ولا على أبيض من أسود، ولا على أرفع على أسفل إلا بتقوى الله تعالى.

العلاقات الإنسانية في القرآن: ومما لا شك فيه أن كلمة التعامل مع الآخرين لها مفهوم شامل، يتسع اتساع العلاقات الإنسانية بين بني آدم. والروابط التي تجمع بين الناس كثيرة، فمن رابطة الدم، إلى رابطة الفكرة والمبدأ، ورابطة العمل والوظيفة، ورابطة الصداقة والصحبة، ورابطة الجنس والعرق، والرابطة التجارية والاقتصادية، ورابطة العقيدة التي تُعدّ من أقوى الروابط وأمتنها. ولكن قوّة رابطة العقيدة، لاتعني أنَّ مفهوم التعامل مع الآخرين لا يدور إلا في نطاقها، ولا يشمل التعامل مع أصحاب العقائد الأخرى من غير المسلمين، بل إنَّ معنى التعامل يتسع ليشمل الإنسانية كلَّها. فالعلاقة الإنسانية تتعلق

بتفاعل الأفراد في جميع أنواع المجالات، ويشاهد هذا التفاعل بصفة عامة في تنظيمات العمل حيث يرتبط الأفراد بنوع من البنائ والنظام الشكلي في سبيل تحقيق هدف معين من خلال الترابط والانسجام والتعاون فيما بينهم.

لقد رفع القرآن الكريم من مكانة الإنسان بغض النظرعن الجنس أو اللون الالعرق الدين. فوردت كلمة الإنسان في القرآن الكريم ٦٣ مرة ، وكلمة الناس تكررت ٢٤٠ مرة، ولا خلاف في أن بني آدم أفضل من كل المخلوقات، والأصل فيه نصوص شرعية ولعل من أوضح الآيات في هذه المجال قوله تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضالناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلًا". [١٧]

الأمة البشرية في العصر الجديد: الإخاء والمساواة والحرية. هذه النزعة الإنسانية الأصيلة في الأسلام هي أساس هام لمبدأ الإخاء البشري الذي نادى به الإسلام. وهي أساس هام كذلك لمبدا المساواة الإنسانية العام الذي دعا إليه الإسلام. كذلك لمبدأ الحرية الذيب قرره الإسلام وأكد ألدعوة إلى هذه المبادئ الإنسانية الثلاثة. وهي الإخاء — المساواة – الحرية. وضع الإسلام الصور العملية لتطبيقها وربطها بعقائده وشعائره وآدابه ربطًا محكمًا.

القرآن والتعايش السلمي بين المجتمع البشري: القرآن هو المصدر الأول للإسلام. فالإسلام فإذن شعار ورمز يدور في القرآن على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى أن جاء القرآن وجمع القضايا كلها في قضية واحدة وجهها إلى البشرية جمعاء. وبين لهم فيها أنه ما ما شرع لهم دينًا جديدًا وإنما هو دين أنبياء كلهم الذين جاءوا من قبل. فالإسلام فيلغة القرآن ليس اسمًا لدين خاص، وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف بكل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء. [١٨]

إن الإسلام دعا إلى وحدة البشر وأعلن الإخوة الإسلامية بينهم.؟ وأن الناس جميعًا ولدوا من أب واحد وأم واحدة، انهم سواسية لا فرق بينهم لا في اللون ولا في العرق ولا في البلد. وكذلك دعا الإسلام إلا نبذ العصب العرقي أو الديني أو الطائفي ولذلك كان دينًا عالميًا ليس مغلقًا على شعب من الشعوب أو على زمن من الأزمان. قرر ذلك نصوصًا في القرآن والسنة ودعا إلى الإيمان بها جزءًا من عقيدة الإسلام وأوجبها عملًا.

ملخص البحث: يدعو القرآن الكريم النوع البشري إلى الاحترام المتبادل والتعايش السلمي والأخوة العالمية التي لاتكاد تتحقق بدون هذا الاحترام المتبادل والتعايش السلمي، والقرآن الكريم يؤكد هذه

الوجهة القائمة على الوسطية والاعتدال والحكمة العميقة التي تهدي إلى الخير والسعادة بقوله عز وجل: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون".[١٩]

النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة لموضوع التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم في المجتمعات معددة الثقافات كثيرة ومنها: إن الإسلام دين يدعو للتعايش والتقارب ويدين التعصب والغول والتطرف سواء مع الذات أو مع الآخرين. إن المرجعية في فهم التعايش بين المسلمين وغير المسلمين تستند على نصوص الوحي الإلهي الكتاب والسنة. وفهمها وفقًا لما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين والتابعون والأئمة والصالحون. التعايش السلمي بمنظور الشريعة الإسلامية وسيلة مهمة من وسائل تطور المجتمعات وتنميتها تنمية شاملة للجوانب المادية والروحية. التعايش السلمي يسبب لتحقيق المصالح المشتركة لجميع أفراد المجتمع على اختلاف أديانهم وأعراقهم. التعايش السلمي يسبب لتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع. كذلك يعاون في نشر الدعوة الإسلامية بين أفراد المجتمع بسبب اختلاط مع غير المسلمين ولإفهام طبيعة الإسلام السمحة. تمس الحاجة إلى أن يبرز المنظور القرآني لتحقيق الأخوة العالمية وذلك عن طريق الدراسة العميقة لهذا الكتاب المقدس المنزل من عند الله كدستور للحياة البشرية. والله ولي التوفيق.

المراجع والحواشي

[١] القاموس لأبي طاهر محمد يعقوب الفيروزابادي، دار الإحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م

[٢] د. عباس الجراري: مقال بعنوان: مفهوم التعايش السلمي في الإسلام، مجلة الجراري،ص ٢٧، العدد ١٤، ١٤١٧هـ

[٣] عبد بن محمد عبد المحسن التركي: الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية ، رابطة الإسلامي ، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ

[٤] المتحنة ٨-٩

[٥] أبو داود السنن ١٧٠/٣ رقم حديث ٣٠٥٢

[٦] صحيح البخاري، ٢٠١٩/٣ حديث رقم: ١٣٥٦

[٧] صحيح البخاري مع فتح الباري ٤٩٧/٧ حديث رقم ٤٢٤٩

[٨] صحيح البخاري، مع فتح الباري ٩٩/٦ حديث رقم ٢٩١٦

[٩] صحيح البخاري — مع فتح الباري ١٨٠/٣ حديث رقم ١٣٣١

[١٠] صحيح البخاري- مع فتح الباري ٣/ ١٨٠ حديث رقم ١٣١٢

[١١] القرأن- سورة الحجرات رقم الآية ١٣

[١٢] القرأن- سورة الحجرات رقم الآية ١٣

[١٣] (القرآن، الروم: ٢٢

[١٤] سورة النساء رقم الآية ١

[١٥] القرآن، الحج: ٤٠

[١٦] القرآن، البقرة: ٦٢

[١٧] سورة الإسراء، رقم الآية ٧٠

[١٨] محمد عبد الله دراز: بحوث ممهدة لداسة تاريخ الأديان، الكويت دار القلم ص، ١٧٥

[١٩] القرآن: البقرة رقم الآية ٦٢